

معجم البلدان

علمت بأن ا بـ بالغ أمره وأن قضاء ا بـ ينفذ في العبد وقلت وقلبي فيه ما فيه من جوى
ودمعي جار كالجمان على خدي ترى ا بـ يا بغداد يجمع بيننا فألقى الذي خلفت فيك على العهد
وقال محمد بن علي بن خلف النيرماني فدى لك يا بغداد كل مدينة من الأرض حتى خطتي ودياريا
فقد طفت في شرق البلاد وغربها وسيرت خيلي بينها وركابيا فلم أر فيها مثل بغداد منزلا ولم
أر فيها مثل دجلة واديا ولا مثل أهليها أرق شمائلها وأعذب ألفاظا وأحلى معانیا وقائلة لو
كان ودك صادقا لبغداد لم ترحل فقلت جوابيا يقيم الرجال الموسرون بأرضهم وترمي النوى
بالمقترين المراميا في ذم بغداد قد ذكره جماعة من أهل الورع والصلاح والزهاد والعباد
ووردت فيها أحاديث خبيثة وعلتهم في الكراهية ما عاينوه بها من الفجور والظلم والعسف
وكان الناس وقت كراهيتهم للمقام ببغداد غير ناس زماننا فأما أهل عصرنا فأجلس خيارهم في
الحش وأعطهم فلسا فما يبالون بعد تحصيل الحطام أين كان المقام وقد ذكر الحافظ أبو بكر
أحمد بن علي من ذلك قدرا كافيا وكان بعض الصالحين إذا ذكرت عنده بغداد يتمثل قل لمن
أظهر التنسك في الناس وأمسى يعد في الزهاد إلزم الثغر والتواضع فيه ليس بغداد منزل
العباد إن بغداد للملوك محل ومناخ للقارء الصياد من شائع الشعر في ذلك بغداد أرض لأهل
المال طيبة وللمفاليس دار الضنك والضييق أصبحت فيها مضافا بين أظهرهم كأني مصحف في بيت
زنديق ويروى للطاهر بن الحسين قال زعم الناس أن ليلك يا بغ داد ليل يطيب فيه النسيم
ولعمري ما ذاك إلا لأن خالفها بالنهار منك السموم وقليل الرخاء يتبع الشدة عند الأنام
خطب عظيم وكتب عبد ا بـ بن المعتز إلى صديق له يمدح سر من رأى ويصف خرابها ويذم بغداد
كتبت من بلدة قد أنهض ا بـ سكانها وأقعد حيطانها فشهد اليأس فيها ينطق وحبل الرجاء فيها
يقصر فكأن عمرانها يطوى وخرابها ينشر وقد تمزقت بأهلها الديار فما يجب فيها حق جوار
فحالتها تصف للعيون الشكوى وتشير إلى ذم الدنيا على أنها وإن جفيت معشوقة السكنى وحبوبة
المثوى